

بحاجة إلى دراسة الغرب للوقوف على خصائصه الثقافية وفهمها، على الأقل للخروج من حالة الاستلاب الحضاري التي ما نزال نُعاني منها.

إننا اليوم ندرس الثقافة الغربية للاستفادة منها أكثر مما ندرسها للتعرف عليها، التعرف على بنيتها ومكوناتها وتوجهاتها. وليس أدل على ابتعادنا عن هذا النوع من المعرفة من أن الوطن العربي بل الإسلامي كله، كما يُشير إدوارد سعيد في دراسته للاستشراق، ما يزال خلواً من أي معهد أو مركز دراسات يركز على الثقافة الغربية وتوجهات الغرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية على حين تنتشر في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها عشرات المراكز التي لا هم لها سوى دراسة تاريخ الشرق الأوسط وكياناته المختلفة.

الموضوع الذي أتحدث فيه يدخل في صميم المعرفة التي أشرت إليها وليس ما أعرضه سوى محاولة بسيطة للنفاز إلى إحدى المكونات الرئيسة لثقافة الغرب. والذي دفعني إلى هذا الحديث هو أنني لمست شيئاً من القصور في معرفة هذا المكون أو المرتكز الهام في تاريخ الغرب الثقافي لدي شخصياً حين كنت أترجم قصة للكاتب الأرجنتيني بورخيس،^(١) فتوقفت أمام كلمة صعبت علي ترجمتها، وهي كلمة «بايبل» التي تعني «الكتاب المقدس» لدى المسيحيين، ويضم بين دفتيه التوراة والإنجيل، وكل من فتحه سيلاحظ أن القسم الأول منه هو العهد القديم أو التوراة، بينما يتألف القسم الثاني من العهد الجديد أو الإنجيل. المشكلة التي واجهتني في ترجمة كلمة «بايبل» BIBLE إلى العربية تتلخص في أن القصة التي كنت أترجمها تشير بالصدفة إلى كتاب ديني آخر تسميه «الكتاب المقدس». حلت المشكلة طبعاً باستعمال الترجمة نفسها في كلتا الحالتين مع الإشارة إلى أن إحداهما تعني الكتاب المقدس لدى المسيحيين.

لكن ذلك الحل الإجرائي لم يحل المشكلة الثقافية لدي، فقد واجهت في تلك الكلمة، أي كلمة «بايبل»، قصوراً في إدراك ذلك التلاحم الجذري والعميق بين التوراة والإنجيل في الثقافة الأوروبية الأمريكية أو الثقافة الغربية المسيحية عموماً. لقد تعودت مثل

(١) عنوان القصة المشار إليها هو «الكتاب الرملي» أو «كتاب الرمل» لخورخي لويس بورخيس، وكنت قد نشرت ترجمة لها في مجلة اليمامة، ع ٥٨٨ (٢٨ ربيع أول ١٤٠٠/١٥ فبراير ١٩٨٠).